الإبل

معجزة الصحراء العربية

يطلق لفظ «الإبل» على تلك الدواب الصحراوية المعروفة التى عاشت -ولا تزال تعيش- فى بطن الصحراء، حيث تحتل مكانًا مرموقًا عند سكان البادية على الأخص؛ نظرًا لما يمتاز به الفرد من هذه الدواب من المزايا والصفات التى لا تمتلكها دواب أخرى على الإطلاق، ولما كان يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالصحراء، ويستطيع التنقل بين ربوعها فى سهولة ويسر، فقد أطلق على «الجمل» اسم «سفينة الصحراء»، وهو اسم عرفناه وخبرناه منذ مراحلنا الأولى فى التعليم.

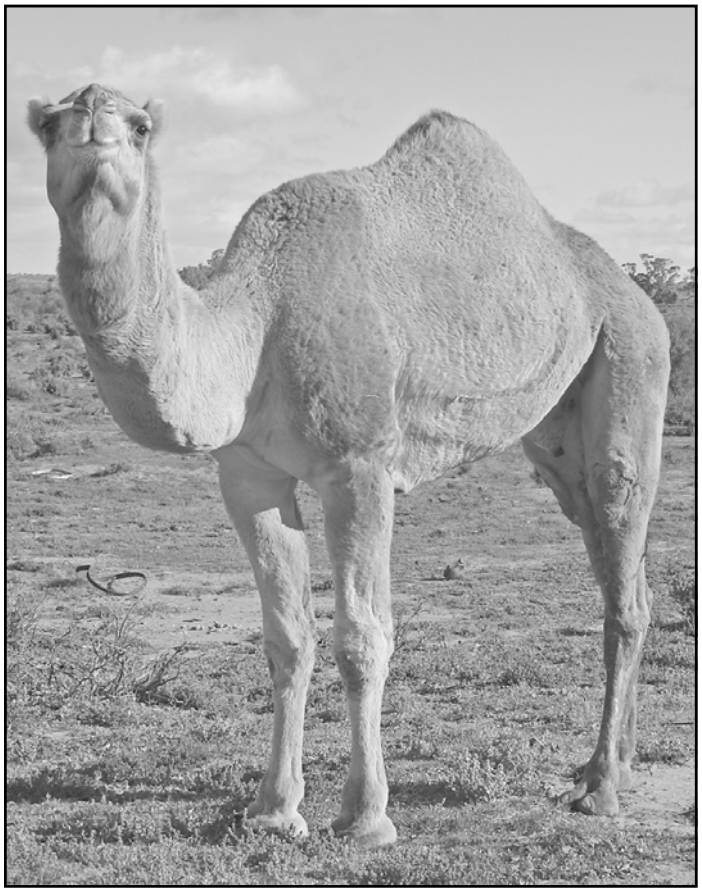

خلق الله الإبل بمزايا وصفات تناسب العيش فى الصحراء بوعورتها وجفافها دون مشقة أو عناء

وإذا رجعنا إلى المعاجم العربية لوجدنا أن «الإبل» جمع لا واحد له من لفظه، وهى مؤنث فيقال مثلاً «رعت الإبل»، وجمعها «آبال»، أما الذكور فيطلق عليها اسم «الجمال»، والإناث هى «النوق». ولعل الإبل هى أكثر الحيوانات ارتباطًا بحياة البدوى؛ فهى تشاطره شظف العيش وقسوة الحياة فى تلك الأراضى الصحراوية الشاسعة التى تمتد فى مختلف القارات وخصوصًا آسيا وإفريقيا وأمريكا الجنوبية.

والواقع أن الإبل هى أكثر الدواب التى خلقها الله سبحانه وتعالى ملاءمة للعيش والبقاء فى تلك الأراضى القاحلة التى لا يدرك مداها البصر، وعنها يقول الله سبحانه وتعالى: (أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت).

مزايا وصفات

ونستطيع أن نتلمس فى هذا الخلق الكريم عديدًا من المزايا والصفات التى لا تتوافر عند غيرها من دواب الأرض؛ فأرجلها طويلة مما يجعلها قادرة على الانتقال من مكان إلى مكان فى خطوات قلائل ودون مشقة أو عناء، كما أنها معدة تمامًا للسير على سطح الأرض سيرًا بطيئًا متمهلاً، أو للجرى السريع طويل المدى، وفى كلتا الحالتين لا تغوص أرجلها فى الرمال الناعمة،

فالمعروف أن الصحراء بوجه عام لها أرض صخرية، تعلوها طبقات من الرمال التى قد تمتد إلى أعماق بعيدة.. ولذلك يحتاج السير فوق تلك الرمال إلى خصائص معينة لا تتوافر عند ذوات الحافر كالخيل أو البغال، ولكنها تتوافر بشكل ملموس وواضح عند الإبل؛ إذ تنتهى أرجلها بتلك «الأخفاف» اللينة التى لا تغوص فى الرمال، بل تنبسط فوقها فى نعومة ولين، وذلك لأنها تتكون من أنسجة خاصة إسفنجية التركيب، وبها تجويفات هوائية تجعلها تعود إلى شكلها الطبيعى متى رفع الجمل رجله عن سطح الأرض أثناء السير. ولهذا فإن امتلاكها تلك الأخفاف يرفع من قدرتها على السير فى مجاهل الصحراء دون مشقة أو عناء.

وطول الأرجل ارتبطت به وتلازمت معه ظاهرة أخرى هى طول العنق؛ وذلك حتى تستطيع الإبل وهى واقفة على أرجلها أن ترعى الكلأ والعشب متى جاعت أو تشرب الماء من مصادره القليلة عند العطش، هذا بالإضافة إلى صغر الرأس حتى لا يكون عبئًا ثقيلاً على العنق.

كما يحمل كل فرد من تلك الإبل فوق ظهره كتلة كبيرة من المواد الغذائية فيما يعرف «بالسنام»، وقد يظن الشخص العادى أن تلك الكتلة الشاذة التى يحملها الجمل فوق ظهره هى من المعوقات لأنها حمل إضافى، يعوقه عن سرعة السير، ولكن الواقع غير ذلك تمامًا، «فالحدبة» فى الإنسان هى نتوء فى الظهر يجعله قبيح المنظر، وبه بعض العجز عن ملاحقة الآخرين.

مخزن للمواد الغذائية

أما فى الجمل فإن تلك الحدبة الظهرية (السنام) نعمة لا نقمة، وحسنة لا سيئة، أمده الله سبحانه وتعالى بها لتكون عونًا له على تحمل مشاق الجوع عندما يشح الغذاء؛ إذ يتكون السنام من كتلة كبيرة من الأنسجة الدهنية، وتعتبر تلك الأنسجة مخزنًا إضافيًا للمواد الغذائية، يعمل على إمداد الجسم باحتياجاته الضرورية كلما دعت الحاجة إلى ذلك، وهذا هو السبب الأساسى فى قدرة الإبل على تحمل الجوع، كما أن أنسجة الجسم لها من الصفات الفسيولوجية ما يجعلها قادرة على تحمل العطش فترة طويلة.

ولما كان العرب الأقدمون على بينة من تلك الخصائص الحياتية، فقد كانوا يقدمون لها ماء الشرب كل ثلاثة أو أربعة أيام وذلك عندما تكون قوافلهم بعيدة عن مصادر الماء، فقد كانوا يحملون معهم فى أسفارهم الطويلة كل ما يحتاجون إليه من ماء الشرب لهم وللإبل التى معهم، يحملون هذا الماء فى «قربة» جلدية، سرعان ما يملؤونها مرة أخرى عند وصولهم لأول مصدر مائى أثناء السفر.

وتنتمى «الإبل» إلى جنس واحد

تتميز الإبل بطول الأرجل والعنق وصغر حجم الرأس حتى لا تكون عبئًا ثقيلاً على العنق

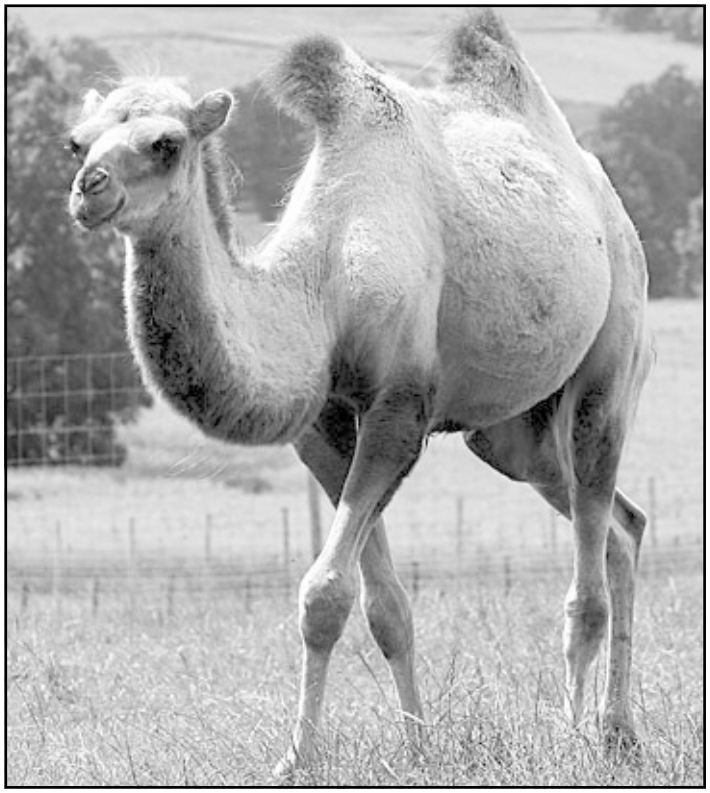

يتكون السنام من كتلة كبيرة من الأنسجة الدهنية التى تعد مخزنًا إضافيًا للمواد الغذائية يعمل على إمداد جسم الجمل باحتياجاته الضرورية كلما دعت الحاجة إليه

يطلق عليه علماء الحيوان اسم «Camelus»، وهو لفظ لاتينى مشتق من اللفظ العربى «جمل»، ويوجد منه نوعان فقط هما «الجمل العربى» و«الجمل الخراسانى» (نسبة إلى خراسان)٧ ويطلق عليه العرب اسم «البُختى» واسمه اللاتينى. «Cbactrianus»، وربما كان الاسم النوعى مشتقًا هو الاخر من اللفظ العربى «بختى».

ويحمل الجمل العربى سنامًا واحدًا فقط فوق ظهره، بينما يحمل البُختى سنامين اثنين أحدهما وراء الآخر، ولذلك يطلق عليه أحيانًا اسم «الجمل ذو السنامين».. وتنتشر الإبل العربية فى مصر والسودان وشمال إفريقيا، بالإضافة إلى المملكة العربية السعودية والأردن واليمن وغيرها، بينما تنتشر «البُخاتى» فى أواسط آسيا، حيث تستخدم فى الأغراض نفسها التى تستخدم فيها الإبل العربية.

لحوم وأغطية وسجاجيد

وبالإضافة إلى استخدام الإبل «دوابًا للحمل» لها شأنها فى الانتقالات والسفريات الصحراوية، فإن لها من المزايا والفوائد الاقتصادية ما لغيرها من حيوانات الغذاء كالأغنام والأبقار وغيرها، حيث يحصل منها الإنسان على احتياجاته من اللحوم، وذلك لأن معظم سكان البوادى والقرى الصحراوية يأكلون لحومها ويشربون ألبانها ويصنعون من أوبارها ألبسة وأغطية وسجاجيد وغيرها من الأمتعة الصوفية، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾ [النحل: ٨٠].

يحمل الجمل البختى سنامين.. أحدهما وراء الآخر

وينتشر هذا النوع فى أواسط آسيا.. حيث يستخدم فى الأغراض نفسها التى تستخدم فيها الإبل العربية

وقد جاء فى معجم ألفاظ القرآن الكريم الذى أصدره مجمع اللغة العربية بالقاهرة عام ١٩٧٠ أن كلمة الأنعام تطلق فى الأصل على «الإبل»، كما أنها تطلق أيضًا على «الإبل والبقر والغنم» على التوسع، وجميع هذه الحيوانات من «آكلات العشب».

وتنتمى الإبل إلى «طائفة الثدييات». وهى مجموعة من الحيوانات، فيها الإناث تحمل وتلد وترضع صغارها فترة من الزمن، وتكون مدة الحمل عند الناقة ٣٩٠ (ثلاثمائة وتسعين) يومًا، وتقع الأثداء التى ترضع منها صغارها فى مؤخرة البطن، عند زاوية اتصال الفخذين بالجذع، وهو المكان الذى يطلق عليه اسم «خن الورك».

وفى الأدب العربى نقرأ الشىء الكثير عن الإبل نثرًا وشعرًا؛ وذلك لأنها كانت ولا تزال أقرب الحيوانات إلى قلوب سكان البادية، فهم يعرفون كثيرًا من صفاتها وطبائعها.. مثلا إنها تطرب للصوت الحسن، فهى «تصر آذانها مع غناء الحادى، وتزداد نشاطًا، وتزيد فى مشيتها».

ومن المعروف أن أنواعًا كثيرة من الرياضة كان يمارسها الإنسان منذ قديم الزمان، ومن أشهرها على الإطلاق رياضة «سباق الإبل» «وسباق الخيل»، وكانت الأولى منها -ولاتزال- مقصورة على بعض البلاد العربية التى تهتم بتربية الإبل ورعايتها والاستفادة منها فى كثير من الشئون.

ولكنها باتت الآن موجودة عندنا فى مصر، وكذلك يوجد نادٍ لهجن السباق فى العريش، كما يوجد اتحاد للهجن العربية وبه أعضاء من مصر والدول العربية الأخرى، كما أن له إصداراته الخاصة التى تعتنى بكل ما يتعلق بالإبل.